بانَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها . . وكأن صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربة عرف ما تقتضيهِ بلاده من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ في سنة ١٨٩٢ وقيل انهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم . وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائهِ مراسلات ومساجلات . ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى . وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ . ولهُ فيهِ قصائد غرّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران قال في جملتها في مدح السلم والعدل :

فالسِلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفرْ
والعدل ان عمّ الما لك شاد علياها وعمّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي لهُ هناك من جواب الى صديق :

كتبتُ اعزّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرّ النضيد ببهجتهِ . وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ . وانّي لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلاً ولكن قُدّر لك عليّ السبق وان تكون في كل شيءٍ اوّلاً فلساني عاطر بشكرك . وقلبي عامر بذكرك . غبتَ او حضرتَ سرتَ او أقمتَ . فوالله لم اذكر ايّام اللقاء ولذّاتها الّا وطارت نفسي شعاعاً . ولا تخيّلتُ ساعات الوداع وكربتها الّا وزادني الشوقُ التياعاً . . . فان تأملتُ قصر مدّة الفتها هاج بي الشوق آلاماً . وان تذكّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً . واذا فكّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاء الّا مناماً

(لها بقيّة)

هباسيا والقديس كيرلُس

للاب فوران لافلي مدرس التاريخ في كليّة القديس يوسف

هباسيا ! . . وما هباسيا ! . . وما ادراك ما هباسيا ! . . فان كنت ايها القارئ الغمر تجهل مَن هباسيا دونك جهينة الاخبار امين افندي ريحاني . . . فانهُ نقّب في زوايا المكاتب فأجهد فكرهُ واسهر عينهُ وقلّب بطون الدفاتر فوجد ضالّتك . وما هو

قد خصّ بوصف هباسيا ثماني صفحات من مجلّة تدعى الحسناء. وقد زعم انّهُ يتحاشى في مقالتهِ القصص الخياليّة ولا يريد الّا ان يسطّر تاريخًا حقيقيًّا فيبعث في قلوب الاوانس عواطف الاسف والحنان على عذراء مظلومة فيُنسيهن ابطال الاقاصيص الغربيّة (الرومان) ويا ليتهُ فعل ولم يأتنا بالاساطير المنثريّة

ثم استحلف السيّدات بان يتّبعنهُ الى مدرسة الاسكندريّة في العشر الثاني من القرن الخامس وهناك عرض عليهنّ تمثالًا حيًّا للفضائل افاض في مدح مناقبهِ ألا وهي « فيلسوفة بتول » تُدعى هباسيا وكان الاولى بهِ ان يكتب اسمها هيباتيا (Ypatie) لكنّ الريحاني لا يعرف اليونانيّة وانّما هو ناقل يزجّ بهِ نقلهُ في مغاوي الضلال كما سترى

ثم قال الراوي (المنثري !) انّ هباسيا هذه كانت زينة الاسكندريّة وكانت وثنيّة ورُزقت في علم الفلسفة الافلاطونيّة وبرعت في مجرى ابيها ثيون الوثني « وكانت تلقي الدروس على الالوف من الطلبة وفيهم الاعيان والاغنياء واللاهوتيّون » وذكر من جملتهم « اسقف عكّا سينيسيوس الذي كان اوّل من اعترف بفضلها وعلمها . وظلّت الصداقة بين الفيلسوفة الوثنيّة والاسقف المسيحي تقيّة الاسباب وثيقة العرى فلا هباسيا اعتنقت الدين المسيحي ولا سينيسيوس خلع ثوبهُ الكهنوتي » وختم الكاتب البارع هذا الفصل بوصف جمال هباسيا واقتناعها بالملبوس البسيط واعراضها من « المودات ». وكل ذلك مع ما يتضمّن من المبالغة لا نُحاجّ فيهِ كاتبنا الريحاني فنحن نسلّم بمقام الفيلسوفة هيباتيا وسعة معارفها بين علماء عصرها . وفي اعتبار الاسقف سينيسيوس (Synésius) لتلك المرأة احسن دليل على انّ النصرانيّة لا تضطهد العلماء لاجل دينهم وبهِ الكفاية لأن يعرّف الريحاني انّ ما اعدّهُ في كنانتهِ من النبال لرشق النصارى اخوتهِ ولاسيما اعد اكبار انتهم القديس كيرلس الاسكندري لا سند لهُ

ثم قال الراوي (من رواة بني هلال)

« وبعد ان خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة ماتت موت الشهداء على افظع طريقة وانكرها »

ثم افتتح الراوي (ابو زيد) هنا فصلًا ذكر فيهِ القديس كيرلس الاسكندري بهذا العنوان « سيريل البطريرك » فنسب اليهِ « التعصّب والمعاندة والمكابرة » واكّد انّ صدرهُ أُوغر « حسدًا لمجد هباسيا بحيث لم يطب لهُ عيشًا (كذا) ولم يسغ لهُ

شراباً (كذا) » ثم وصفهُ كحاكم ظالم استعان بفرقة من الجند « لطرد اليهود ونهب بيوتهم ومعابدهم وتدميرها » . وزاد على كل ذلك انَّ سيريل اثار ثورة في الاسكندريَّة اودت بحياة ابنة ثيون . وهنا فصَّل الكاتب خبر قتل الفيلسوفة على يد جمهور من الرعاع الذين تعرَّضوا لها في طريقها فاستطوها من عَرَبتها وقطَّعوا جسمها اربًا » وذلك في اذار سنة ٤١٥ على عهد الملك ثيودوسس (كذا) الثاني » وختم الخبر بقولهِ انَّ « ما من احد من المؤرخين يرتاب في انَّ سيريل هو العامل الخفي على قتل هباسيا . وقد قال تيودورت وهو من آبا الكنيسة المشهورين انَّ لسيريل يداً خفيَّة في هذه الجريمة . وقال غيرهُ ان لم تُقتل هباسيا بامر واضح من سيريل فقُتلت بعلمهِ وارادتهِ »

وقدَّم الريحاني (المؤرخ الهلالي) على هذا التفصيل بيان سبب قتل سيريل لهباسيا فقال انَّ الخلاف بينهما لم يكن فقط « نزاع بين العلم والجهل . بين التعصُّب والفلسفة . بين الحرِّيَّة والاستبداد . بل هو خلاف بين العذراء الوثنيَّة التي أسَّست حياتها على فضائل الدين المسيحيّ دون ان تعتنقهُ وبين البطريرك المسيحيّ الذي استخدم الدين واسطة لشفاء غليلهِ ونيل مآربهِ » (كذا ! !)

تلك دعوى الريحاني على كيرلس الاسكندري . وما ادراك مَن كيرلس ؟ احد ملافنة الكنيسة الشرقيَّة العظام الذي اجمع الشرق والغرب معاً على اكرامهِ لسموّ فضلهِ فجعلهُ الريحاني رجلاً اثيماً بل حاكماً جائراً بل ذئباً خاطفاً سنَّاكاً للدماء . فما قولنا ؟

نجيب (اولاً) على امين ريحاني أنَّنا لا نصدِّق قولهُ دون سند تاريخيّ ولاسيما انهُ عوَّدنا اختلاق التاريخ على هواه تبعاً لبغضهِ للدين (اطلب المشرق ١٢ : ٦٣٩ و ٧١٦)

(ثانياً) وفي هذه المقالة اراء ضعيفة باطلة بل قلَّ اغلاطاً فظيعة تدلّ على انَّ الكاتب انَّما ينقل (على العياني) عن كتبة ملحدين مثلهُ كلُّ غايتهم الثلب والطعن في كنيسة الله وقديسيها . فمن اغلاطهِ الظاهرة : ١ً قولهُ انَّ « هباسيا خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة » والكتبة مجمعون على ان مولدها كان نحو سنة ٣٧٠ . وعلى قول الريحاني انها قُتلت سنة ٤١٥ ومن ثمَّ ينبغي القول بانَّها في الخامسة من عمرها كانت تخدم العلم . ٢ً ثم قولهُ « انَّ عمرها تجاوز الخمسين لمَّا ارتقى البطريرك سيريل الى كرسي البطريركية » . ومن المعلوم انَّ القديس كيرلس نال البطريركية في السنة ٤١٢ فتكون عاشت هباسيا ٥٣ سنة لمَّا قُتلت وهذا مخالف لكلّ الروايات . ٣ً قال الريحاني ان

سينيسيوس الاسقف كان يحضر دروس هباسيا الفيلسوفة . والصواب انَّ سينيسيوس قبل اسقفيَّته كان وثنيًّا ولم يحضر دروسها الَّا في زمن وثنيَّته وانَّما داوم فقط بعد ذلك على مكاتبتها . ٤ً زعم الريحاني انَّ سينيسيوس كان اسقفًا على عكَّا . وقد خُدع باسم « Ptolémaïs » الذي يدلُّ على عدَّة مدن في بلاد مختلفة . منهـا هذه المدينة التي هي احدى المدن الخمس (Pentapole) في ليبية فلا علاقة بين سينيسيوس وعكا . ٥ً شطَّ الريحاني بقوله انَّ اللاهوتيين كانوا يحضرون دروس هباسيا الوثنيَّـة . ٦ً شطَّ ايضًا بقوله ان « ثيودورت » نسب قتل هباسيا الى سيريل . فانا راجعنا كل اعمال ثيودورت فلم نجد لشهادته اثرًا . فان كان صادقًا فليدلَّنا على سنده . ولعلَّـهُ خلط بين « ثيودورت » و « ثاوفان » فانَّ ثاوفان ذكر قتل هباسيا لكنَّهُ لم ينسبهُ البتَّـة الى سيريل بل الى « البعض » . ٧ً وليس في التاريخ ملك رومـاني يدعى ثيودورس لكنَّ الريحاني اساء قراءة الاسم بالكتاب الملفَّق الذي راجعـهُ فقرأ Théodore ثيودورس والصواب Théodose ثاودوسيوس . ٨ً جعل العلم كلهُ في هباتيا ونسب الجهل الى كيرلس . وليس في يدنا كتاب واحد من تآليف هباتيا لنعرف مبلغها من العلم . امَّا اعمال كيرلس الباقية فتكفي لتشريف مئين من الرجال

فهذا مبلغ علم الريحانيّ الذي قام للتشنيع على احد انوار الكنيسة اليونانيَّـة فرماهُ بشكاوى لو صحَّت لاستحقَّ ان يُرذل في عداد المجرمين لا ان يُكرَّم كاحد اولياء الله . وان سألت عن الخبر الصحيح رويناهُ هنا عن المعاصرين

فنقول انَّ القديس كيرلُّس لمَّا خلف عمَّهُ ثاوفيل على كرسيّ الاسكندريَّة اظهر من الغيرة والنشاط ما اثار عليه بعض اعداء الكنيسة واوَّلهم اليهود . اخبر سقراط معاصر القديس في تاريخهِ (ف ١٣) ان اليهود اخذوا يسخرون بدين النصارى ويشخصون في المراسح الرتب المسيحيَّة لاستهزاء بها وحرَّكوا حاكم البلد اورستس على احد النصارى من خدَم كيرلُّس فضربهُ بالسياط ظلمًا فاخذ كيرلس بناصرهِ وكان ذلك فاتحـة العداوة بينـهُ وبين الحاكم . ثم طلب البطريرك من ارباب اليهود ان يكفُّوا عن سوء اعمالهم لئلَّا يثور عليهم النصارى . اما اليهود فازدادوا شرًّا وهجموا على المسيحيِّين احدى الليالي فقتلوا ونهبوا فلمـا كان الصباح ورأى النصارى ان الحاكم لا يدافع عنهم اثَّأروا من اعدائهم وضبطوا جرائمهم وطردوهم من البلـد . فزاد حنق الحاكم على

كيرلس واوقف احد الرهبان المنتمين الى البطريرك فقتلهُ فصارت المدينة حزبين حزب الحاكم ومعهُ الوثنيُّون واعداء النصارى وحزب المظاومين . فسعى القديس كيرلس بتسوية الخلاف حيناً وذهب الى بيت اورستس وبين يديه الانجيل الطاهر واستحلفهُ بالله ان يكفَّ ايدي الاوباش ويجمع القلوب بالعدل والوئام . فلم يرضَ الحاكم وأصرَّ على عدائه

قال سقراط في تاريخهِ (ف ١٥) وكان وقتئذٍ في البلد امرأة شهيرة تدعى هيباتيا كانت تعلّم فلسفة افلاطون على طريقة بلوتينوس واصابت سمعةً كبيرة في تعليمها . فهذه كانت صديقةً للحاكم تتردَّد عليهِ فيكرمها . فلمَّا رأى البعض انَّ هذه الفيلسوفة تُكثر من زيارة الحاكم نسبوا اليها ايثار صدر اورستس ومَنعها لهُ عن مصالحة كيرلس . وكان بين النصارى جماعة من طبقتهم العاميَّة يدعون « پارابولان » يعتنون بالمرضى وهم عصبة من العلمانيين الَّا أنهم تحت رعاية الكنيسة فهؤلاء اجتمعوا يوماً ورصدوا لهيباتيا عند خروجها من بيت اورستس فهجموا عليها ورموها من عرَبتها وسحبوها الى كنيسة قريبة وقتلوها هناك ثم احرقوا جثَّتها

فهذا العمل الشنيع سيَّئةٌ تشفي القوم ممَّن اعتبروهـا سبباً للنزاع ليس الحسد ولا التعصُّب وقد تمَّ بدون رضى البطريرك بل بدون علمهِ . نعم انَّ سقراط ختم هـذا الخبر بقولهِ « انَّ تلك الجريمة اثارت البغضاء على كنيسة الاسكندريَّة وعلى كيرلس اسقفها » الَّا انهُ لم يقل ان كيرلس كان سبب موت هيباتيا ولو كان الامر كذلك لما سكت عنهُ لانَّ سقراط كان ينقم على كيرلس مناهضتهُ لشيعة النوفاطيين الذي هو كان منها . ولنا عدَّة ادلَّة اخرى على انَّ كيرلس لم يشارك القتلة بفعلهم

١ انَّ عموم اهل الاسكندريَّة التمسوا من البطريرك كيرلس ان يبقى في المدينة لئلا يزيد الهرج والمرج بين الاحزاب . وما كانوا ليفعلوا لو كان لهُ يدٌ في الجريمة

٢ قد رفع الاسكندريُّون الامر الى الملك ثاودوسيوس وطلبوا ان يجعل حدَّاً لشرّ فرقة البارابولان فكتب الملك في ذلك منشورين واوعز الى القديس كيرلس والى الحاكم معاً بان يشدّدا على هذه العصبة . فلو كان كيرلس موافقاً لهم لأشار الملك الى فعلهِ ولَما وكَلَ اليهِ نظارتهم

٣ انَّ الاعداء الكثيرين للقديس كيرلس كايزيدورس البلوزي والكتبة

النساطرة وغيرهم كثيرين قد نددوا باعمال القديس كيرلس الاسكندري وما من احد منهم اشار الى قتل هيباتيا. فسكوتهم دليل واضح على براءته

٤ وكذلك الكنيستان الشرقيّة والغربيّة عظّمتا في كل وقت فضائل القديس كيرلس ولو كان اجترح اثماً كهذا لما سمحتا باكرامه البتّة

هذا وعلم انّ احد الوثنيين المسمى داماسيوس الذي عاش بعيد كيرلس بمائة سنة نسب قتل هيباتيا الى البطريرك. لكنّ شهادتهُ مجروحة وانّما اراد ان ينتقم من النصارى لمّا قضى عليه الملك يستنيان بالغاء تعليمه الوثني في الاسكندريّة. وكان داماسيوس يُعرَف بتعصّبه البالغ للوثنيّة. والذين نسبوا جريمة قتل هيباتيا الى كيرلس انّما نقلوا عنهُ دون تروٍّ. وفي هذا كفاية للردّ على الريحاني اثار الله عقلهُ

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني

طُبع الانسان على الرغبة في معرفة الاسرار المحجوبة فلا يزال يسعى في طلب المكنونات ريثما يطّلع عليها او يميط جانباً من الستر الذي يصون حرمتها وهكذا جرى في الماسونيّة فانّها مهما ضاعفت الظُلمات حولها وشدّدت على اصحابها في حفظ اسرارها وقف اخيرًا اهل البحث على دفائنها وعرفوا نظامها. وها نحن في الصفحات التالية نفصّل هذا النظام ونتتبّع الاقسام التي يتركّب منها هذا البناء الغريب ونبيّن ائتلافهُ واختلافهُ وموارده ومصادرهُ فيظهر لكلّ ذي عين زورهُ وبهتانهُ

اعلم ان النظام الماسوني على شبه دار واسعة لها الواجهة المهيبة ثم وراءها الطبقات المتّسقة مع الدواوين العموميّة والنوادي الجامعة والغرف الخاصّة والقصورات المصونة والحجر المقفلة. ثم لهذه الدار مطامير واسراب ومتاه ومضلّات لا يدخلها الّا الخاصّة الخاصّة ويضيع فيها من لم يعرف مسمّياتها ومهالكها. وعليه نقسم هذا الفصل ثلاثة ابواب ففي الاوّل نصف واجهة الماسونيّة وظاهرها. وفي الثاني نعرّف نظامها العمومي في محافلها وطقوسها ومجتمعاتها السنويّة. ونخصّ الثالث بالماسونية الخفيّة التي تتوارى عن